﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ **بحث بعنوان** ﴾

معالم الرحمة في تنزيل القرآن الكريم.

كتبه راجي عفو ربه:

د / أبو أروى رضوان بن إبراهيم لخشين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

قسنطينة، الجزائر.

بحث معد للمشاركة في مؤتمر: (الرحمة في الإسلام)

جامعة الملك سعود الرياض المملكة العربية السعودية.

للتواصل: redlek21@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله المختص باسم الرحمن، أنزل القرآن وجعله رحمتان: رحمة في تنزيله، ورحمة في مضمونه، فقال في محكم تنزيله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، من كان للأنبياء مسك الختام، وللناس رحمة من العليم العلام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعد:

إن موضوع "الرحمة في الإسلام" لمن المواضيع التي تطرب لها القلوب والأسماع، وتهجم على الخاطر أفكارها، وتستحضر البصائر آثارها، ولكن سرعان ما يدرك الفهيم غفلته، وعجلته، إذ يرى الأيدي تعجز عن التسطير، والأنامل مرفوعة عن أزرار الحاسوب، حيرة، ودهشة، ماذا أكتب؟، ماذا أقول؟ أمر مهول أنت تقف أمام صفات ذي الجلال وآثارها، وأنت تعجز عن تصوُّر بعضها، فضلا عن استيعابها، فصفات الله من علمه فلا يحاط بها. وتزداد الحيرة إذا كان الكلام في أعظم رحمة، وأعظم منة امتن بها الله على عباده، نعمة: القرآن الكريم، كلامه العظيم.

كيف لا وهو كلام الجليل، كلام من أحاط بكل شيء علما، وأتقن كل شيء صنعا، أعجز كل الألسن بيانا، وأفحم كل العقول برهانا، بين فأَعلَم، وشرَعَ فأحكم، أمر وزجر، ووعظ وذكر، وقضى فقدر، فله الحمد كله، والثناء كله. وربطا لموضوع المؤتمر (الرحمة) بالقرآن الكريم، رأيت المناسبة في الكلام على أوجه الرحمة بتنزيله، بعد كثرة ما قيل في بيان أوجه الرحمة في مضمونه، فرأيت الموضوع طريفا، وثقله خفيفا، يناسب حالي، حال قليل الباع، مندرس الرباع، فأسرعت مهرولا إلى كتب علوم القرآن والتفسير، أستجدي منها مادة الموضوع ومباحثه، وفروعه ومسائله، فخرجت منها بجملة من المباحث، عرضت على وفقها الموضوع فكانت على النسق الآتي:

تمهيد: بين يدي المباحث.

المبحث الأول: معالم الرحمة في تنزلات القرآن.

المبحث الثاني: معالم الرحمة في تنجيم القرآن وتفريقه.

المبحث الثالث: معالم الرحمة في المكي والمدني.

المبحث الرابع: معالم الرحمة في أسباب النزول.

المبحث الخامس: معالم الرحمة في المنسوخ والناسخ.

المبحث السادس: معالم الرحمة في نزول الأحرف السبعة.

خاتمة: لأهم النتائج والتوصيات.

وبعدها كشَّاف لأهم المصادر والمراجع.

وإذ ترى أيها القارئ ما تقدم فلا أدعى سبقا في شيء منه قل أو كثر، ففضل السابق على اللاحق معلوم، كما أني أعتذر عن ما اعترى بعض المباحث من الركاكة، والعجلة، والقلة، فأسباب التقصير معلومة، غير أني حاولت الكشف حسب المقدور، ومثلي في مثله من مثلكم معذور، وأسأل الله العفو والمغفرة وهو الغفور، وهذا أوان الشروع في المراد، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد: بين يدي المباحث.

القرآن الكريم كلام رب العالمين، الرحمن الرحيم، أبان فيه بعضا من رحمته الواسعة، والعديد من نعمه الواصلة، فلو لم يكن من رحمته إلا ربوبيته لكفى، فكيف وهو الذي اقترن من أسمائه الرحمن بالرحيم، وما اقترنا في آي الذكر الحكيم إلا في المقام العظيم، قال سبحانه في مقام تمجيد وحدانية ألوهيته، قال: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البقرة]، وقال أيضا:﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[الحشر].

وقال سبحانه في مقام الشروع والابتداء تنويها بشرف ما يُذكر وعظيم منزلته: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفاتحة]، ومن هذا الوجه اقترانهما في البسملة في فاتحة سور القرآن، وفي افتتاح رسالة سليمان، عليه الصلاة وأزكى التسليم: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النمل].

وآخر مواضع ذلك الاقتران العظيم قوله سبحانه:﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾[فصلت]، فناهيك بالتنزيل نعمة، وأعظم به منة، وهو المضاف إلى الرحمن الرحيم، دلالة على «أنه مناط المصالح الدينية والدنيوية»[1]، «فإيثاره سبحانه لهاتين الصفتين على غيرهما من الصفات العلية للإيماء إلى أن هذا التنزيل رحمة من الله بعباده»[2]، «فهو الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته، وأجلها إنزال هذا الكتاب، الذي حصل به من العلم والهدى، والنور والشفاء، والرحمة والخير الكثير، ما هو من أجل نعمه على العباد، وهو الطريق للسعادة في الدارين»[3].

هو رحمة من الله في مضمونه، فقد بيَّنت سُوره وآياته صُنوف رحمته، وأنواعَها، وأجناسَها، وأسبابَها وموانعَها، وأوقاتها وصفات أهلها.

---

(1)– البيضاوي، "أنوار التنزيل"، (66/5).

(2)– الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (230/23).

(3)– السعدي، "تيسير الكريم "، (744). وانظر: "تفسير الفخر" الرازي (537/27– 538)، و"وروح المعاني" الآلوسي (348/12).

ورحمة منه سبحانه قبل ذلك بتنزيله، فلولا تنزيله لما عرف مضمونه، فلما كان مضمونه رحمة، كان تنزيله رحمة، إلحاقا للوسائل بالمقاصد في الأحكام، وقد أشارت إلى هذا المعنى آي الذكر العظام، من حيث الاقتران بين الرحمة وبين القرآن وتنزيله، جمعتها هنا لمناسبة المقام:

فوصف الله سبحانه القرآن الكريم في آيات عدة بأنه (هدى ورحمة)، قال تعالى: ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾**[الأنعام:157]**.

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ **[الأعراف]**.

وقال سبحانه:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴿٥٧﴾﴾**[يونس]**.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿١١١﴾﴾ **[يوسف]**.

وقال أيضا: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ **[النحل]**، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ **[النحل]**.

وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ **[النمل]**. ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ **[لقمان]**. ﴿ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴿٢٠﴾﴾ **[الجاثية]**.

فهو «هدى من الضلالة»[1]، و«بيان للحق وفرقان بين الصواب والخطأ»[2]، وهو «رحمة من العذاب»[3]، «لمن عمل به واتبعه»[4]، قال تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾**[الأنعام]**.

وجملة (هدى ورحمة) قرنت بـــ (المسلمين، والمؤمنين، والموقنين، والمحسنين)، إشارة إلى:

– أنهم هم الذين يصلون إلى الاهتداء به والرحمة به، وأن من لم يكونوا كذلك فقد حرموا الهدى والرحمة[5].

– واختلافهم في التحقق بذلك بحسب مراتبهم في الدين ومقاماتهم فيه:(إسلاما، وإيمانا، ويقينا، وإحسانا)[6].

---

(1)– السمرقندي، "بحر العلوم"، (496/1).

(2)– الطبري، "جامع البيان"، (243/12).

(3)–السمرقندي، "بحر العلوم"، (496/1).

(4)– الطبري، "جامع البيان"، (243/12).

(5)– قال ابن القيم: «اليقين هو الإيمان الجازم الذي لا ريب فيه ... واليقين أن يقوم الإيمان بها حتى تصير كأنها معاينة للقلب مشاهدة له» "رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه"، (20– 21)، فاليقين أرفع مراتب الإيمان، ثم هل اليقين هو الإحسان؟ تحتاج إلى تأمل وبحث.

(6)– الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (8–ب/153).

وقال سبحانه مشيرا إلى ما في تنزيل القرآن من الرحمة بخلقه:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ **[الإسراء]**. ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ **[الإسراء]**.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ **[القصص]**.﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ **[القصص]**.

وقال سبحانه:﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ **[العنكبوت]**. ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىْ ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ **[ص]**.

وقال جل شأنه: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ **[الزخرف]**.

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ **[الدخان]**.

وأوضحُ ذلك وأجلاه قولُ ربنا جل في علاه، وتقدس في عالي سماه:﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ **[فصلت]**.

ومزيدا في توطيد هذا الاقتران، سمى الله سبحانه القرآن رحمة في آي الفرقان، ونص على ذلك أهل التفسير والبيان، كيحيى بن سلام[1]، وأبو هلال العسكري[2] وغيرهما[3].

فالقرآن كتاب الرحمة، واسمه الرحمة، منزله ربك ﴿ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴾ **[الأنعام:133]، على نبي الرحمة، والمرسل بها** ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ **[الأنبياء:107]، تنزيله رحمة، ومضمونه رحمة.**

أوله الرحمة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾**، وعند خاتمته تتنزل الرحمة «إذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته»[4]، سماعه سبيل إلى الرحمة:** ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ

---

(1)– في "التصاريف" (1/135– 136).

(2)– في "الوجوه والنظائر" (227، 228).

(3)– ذكر جمع من أهل العلم كالسخاوي علم الدين، وابن تيمية، والفيروز آبادي، والبليهي، أن القرآن الكريم من أسمائه (الرحمة)، قال البليهي: «سماه رحمة في خمس عشرة آية»، انظر: "جمال القراء" للسخاوي (1/180)، و"أسماء القرآن الكريم"، لآدم بومبا، (26 وما بعدها).

(4)–أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (30541)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص107)، والدارمي في "السنن" (3482)، والبيهقي في "الشعب" (2072)، وابن ضريس في "فضائل القرآن" (49 ،81)، والفريابي في "فضائل القرآن" (87، 88)، وعزاه ابن حجر في "نتائج الأفكار" (3/176) لابن أبي داود ولم أجده في المطبوع. وصحح إسناده النووي في "الأذكار" (117)، وابن حجر في "نتائج الأفكار" (3/176)، ومحقق سنن الدارمي (4/2184).

لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ ﴾[الأعراف]، ومجلس قراءته، ومدارسته تغشاه الرحمة: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ... وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ»[1]، ... .

هذه العبارات تضمنت إشارات إلى بعض علامات الرحمة في القرآن الكريم ومعالمها، ودلائلها المرشدة إليها، وأماراتها الدالة عليها، ومن هذه الوجهة اخترت لفظة المعالم في عنوان البحث: (معالم الرحمة في تنزيل القرآن)، فالمعالم جمع: «مَعْلَم، – وهو – الأثر ... والعَلَمُ أيضا العلامة، وما يُهتَدى به، ويستدل به»[2]، وهي «الدلالة والأمارة، ومنه معالم الأرض»[3] أي دلائلها وأماراتها، ومنه «معالم الدين، دلائله»[4].

واستكمالا لمفردات العنوان بيانا، فالقرآن الكريم كلام الله المنزل، أنزل إنزالا حقيقيا، وأكد ذلك توكيدا جليا فقال ربنا قولا زكيا:﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ [الإسراء]، وقال:﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣﴾ [الإنسان]. فالتنزيل «مصدر من الفعل نزَّلَ، لذا ناسب التأكيد به عليه»[5]، ثم سُمِّي القرآن الكريم لذلك تنزيلا[6]، باعتبار أن ألفاظه أنزلت من الله تعالى[7]، وقد دلت على هذا المعنى كثير من آي الذكر الحكيم منها:

قوله تعالى: ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ ﴾[طه]، وقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾ [السجدة]، وقال سبحانه: ﴿ يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ ﴾ [يس].

وقال جل شأنه:﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾ [الزمر]، وقال: ﴿ حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ ﴾[غافر]، ﴿ حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾ [فصلت]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ وَإِنَّهُۥ

---

(1)– أخرجه مسلم (2699)، وأحمد (7427)، وغيرهما.

(2)– الحميدي، "تفسير غريب ما في الصحيحين"، (137/1)، قال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة" (88/4): «أصل ... يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره».

(3)– ابن سيده، "المخصص"، (258/1).

(4)– ابن دريد، "جمهرة اللغة"، (948/2).

(5)– الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (71/1– 72).

(6)– وعلى ذلك جمع من أهل العلم كـــ: السخاوي، وابن تيمية، والزركشي، والفيروز آبادي، والسيوطي، وابن عاشور، وصالح البليهي وغيرهم كثير، وقال البليهي: «سمِّي القرآنُ منزلا، وتنزيلا في اثنتين وأربعين آية»، انظر: "جمال القراء" (177/1) للسخاوي، و"أسماء القرآن الكريم" لآدم بومبا (26 وما بعدها)، وورد في السنة على قلة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة...» أخرجه البخاري (5، 7086)، ومسلم (936)، وأحمد (3191).

(7)– يقال هذا لموافقة آي القرآن الكريم، واجتنابا لما قد توهمه العبارات الأخرى من عقائد منحرفة، كخلق القرآن والكلام النفسي، النفسي، مما قد يفهم من قول بعضهم: «أن ألفاظه أنزلت من السماء»، قال ابن تيمية رحمه الله: «فعلم أن القرآن العربي منزل من الله، لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد، ولا من غيرهما» "بيان تلبيس الجهمية" (25/2)، والله أعلم.

لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ **[فصلت]**، ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ **[الجاثية، والأحقاف]**.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ **[الواقعة]**، ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ **[الحاقة]**

وآخر ذلك آية سورة الشعراء التي استجمعت أركان التنزيل كلها، قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾ **[الشعراء]**، **(المُنزِّل، والمُنزَّل، والنازل به، والمنزَّل عليه، والغاية من التنزيل) ويلاحظ في هذه الآيات ما يأتي:**

– جميع السور التي ورد فيها ذكر (التنزيل) سور مكية، وفي ذلك وجه من وجوه إثبات كون هذا القرآن من الله سبحانه، بعدما كذب كفار مكة به، وأما أهل المدينة، أهل الإيمان فلم يكونوا في شك من ذلك.

– ورد في الآيات أنه ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، **فهو تنزيل ابتدأ منه كلاما ولفظا، وجاء أنه:** ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ **فهو منزله، ومدبر أحوال نزوله.**

– وتبعا لهذه النقطة الأخيرة فقد اقترن بذكر التنزيل جملة من أسماء الله تعالى منها:

أنه ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ **وهذا يتضمن، قوله تعالى:** ﴿مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَىٰ﴾.

أنه ﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾، و﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، و﴿ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾، و﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، و﴿مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾، **قال الشنقيطي: «قَدْ دَلَّ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلا، إِذَا ذَكَّرَ تَنْزِيلَهُ لِكِتَابِهِ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِبَعْضِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، الْمُتَضَمِّنَةِ صِفَاتُهُ الْعُلْيَا ... وَقَدْ تَكَرَّرَ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ، ذِكْرُهُ بَعْضَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، بَعْدَ ذِكْرِ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ... وَلا يَخْفَى أَنَّ ذِكْرَهُ جَلَّ وَعَلا هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى الْعَظِيمَةَ، بَعْدَ ذِكْرِهِ تَنْزِيلَ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، يَدُلُّ بِإِيضَاحٍ، عَلَى عَظَمَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَجَلَالَةِ شَأْنِهِ وَأَهَمِّيَّةِ نُزُولِهِ»[1]. ومن تلك الأسماء التي لها علاقة بالرحمة، اسمي الرحمن والرحيم، فتنزيل القرآن له نصيب منهما، واسم الرب لما في معنى الربوبية من الرعاية والإنعام على المربوب بما يصلح حاله.**

– دلت آية سورة الشعراء بلفظها على أركان التنزيل، ودلت باللازم منها على أن للتنزيل كيفية عُلم بعضها من نصوص الوحي كما سيأتي.

– أن التنزيل في الآيات السابقة يأتي بمعناه المصدري أي: (الإنزال) وطريقة إنزاله، ويأتي بمعنى المفعول أي: (المنزَّل)[2]، وهو القرآن الكريم، « تسمية للمفعول باسم المصدر»[3].

---

(1)– الشنقيطي، "أضواء البيان"، (351/6).

(2)– قال ابن عاشور فاتحة سورة الزمر:«(تَنْزِيلُ) مَصْدَرٌ مُرَادٌ بِهِ مَعْنَاهُ الْمَصْدَرِيُّ لا مَعْنَى الْمَفْعُولِ»(314/23)، وقال في موضع سور يس: «مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ أُخْبِرَ عَنْهُ بِالْمَصَدَرِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي تَحْقِيقِ كَوْنِهِ مُنَزَّلا» (347/22).

(3)– ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، (248/12).

ومن كل ما تقدم يعلم المقصود من هذا البحث المعنون: (معالم الرحمة في تنزيل القرآن الكريم)، فالقرآن الكريم الذي جعله رب العالمين سبحانه رحمة لعباده، ونعمة من عظيم نعمه، ومنة من جزيل مننه، قد ظهرت علاماتها وأماراتها في عملية تنزيله، من حيث: أحوالُه، وأنواعُه، وكيفيتُه، وأمكنتُه، وأزمنتُه، تلك العلامات والدلائل والأمارات هي ما سيحاول البحث بيانه والكشف عنه.

المبحث الأول: معالم الرحمة في تنزلات[1] القرآن.

وصل القرآن الكريم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيا، وقبل ذلك كانت له أحوال أوضحتها آي التنزيل الحكيم، وهي ما يسمى أيضا بـــ (تنزلات القرآن)، وقد اختلف في عددها، فمنهم من جعلها أربعة[2] تنزلات،

ومنهم من جعلها تنزلين اثنين فقط، ومنهم من جعلها ثلاثا كالآتي:

التنزل الأول: كون في اللوح في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢ ﴾[البروج]، وهي دالة على الوجود الأول للقرآن الكريم في اللوح المحفوظ[3]، وبين ذلك في موضع آخر فقال: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤ ﴾ [الزخرف]، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي هذا القرآن العربي كائن وموجود في ﴿أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾ أَيِ: اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ[4]، وأضاف سبحانه ظرف (لدى) إلى نون عظمته إيذانا باستكمال (أم الكتاب = اللوح) أحوال العظمة، والمنعة، والحفظ المقرر في آية سورة

---

(1)– عبر بعضهم بـــ (وجودات)، وأكثر الكاتبين في هذا الموضوع، يقولون (تنزلات) كـــ: السخاوي في "جمال القرء" (152/1)، والزرقاني في "مناهل العرفان" (39/1)، وصبحي الصالح في "مباحث في علوم القرآن" (51)، ومحمد بكر إسماعيل في "دراسات في علوم القرآن" (24)، ومحمد معبد في "نفحات في علوم القرآن" (19)، ومحمد الشايع في "نزول القرآن الكريم" (13)، ومصطفى ديب البغا في "الواضح في علوم القرآن" (46)، ونور الدين عتر في "علوم القرآن" (26)، ومحمد بازمول في "القراءات وأثرها في التفسير والأحكام" (17).

(2)– كمساعد الطيار في "المحرر في علوم القرآن"، (75– 76)، وهو التنزيل السنوي: «ينزل إلى السفرة في ليلة القدر من كل سنة إبان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ما سينزل عليه خلال السنة»، ونقل قول مقاتل بن سليمان رحمه الله في تفسيره.

(3)– وهو: (أم الكتاب) في قول جماعة من المفسرين، انظر: "معاني القرآن" للزجاج (309/5)، وتفسير السمرقندي (567/3)، وتفسير ابن أبي زمنين (116/5)، وعزاه لمجاهد رحمه الله مكي في "الهداية" (8188/12)، والواحدي في "البسيط" (398/23).

(4)– ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، (218/7)، وعزاه لابن عباس ومجاهد، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩ ﴾ فسره باللوح جمع من المفسرين: وهو قول ابن عباس وعطاء وعكرمة، كما في "البسيط" للواحدي (380/12)، وهو قول: «قتادة وابن زيد وابن جريج، وعليه أكثر أهل المعاني، وعامة المفسرين» كما في "الهداية" لمكي (3754/5)، وعزاه للمفسرين أيضا ابن الجوزي في "زاد المسير" (500/2).

البروج، والمؤكد في آية الواقعة[1] في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[الواقعة]، فالكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ على قول بعض أهل التفسير[2].

وقد نازع بعضهم في عد وجود القرآن الكريم في اللوح تنزلا، بحجة أنه: «لم يرد لفظ النزول مقترنا به قط، وعلى هذا فلا ينبغي أن نسميه نزولا، أو تنزلا»[3]، ورغم عدم اقترانه بلفظ النزول فلا مانع من جعله نزولا أو تنزلا، كما عبر به أكثر الباحثين، فمما لا شك فيه عند أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه فوق جميع خلقه، واللوح المحفوظ أحد مخلوقاته فلا شك أن الله فوقه، والقرآن الكريم كلام الله وصفته، وبغض النظر عن كيفية إيجاد الله للقرآن في اللوح، فهو وجود في مخلوقٍ اللهُ سبحانه فوقه، ولازم ذلك أن يكون نزولا وتنزلا[4]، والله أعلم.

التنزل الثاني: إنزاله جملة إلى السماء الدنيا، ودليله ظاهر الآيات في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر]، ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾[الدخان]، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة:185]، فظاهرها دال على أنه أنزل كاملا، في ليلة القدر المباركة، وهي إحدى ليالي شهر رمضان المبارك، ويدل لذلك ما صح عن ابن عباس[5] رضي الله عنهما في قوله: « أنزل الْقُرْآن فِي لَيْلَة الْقدر جملَة وَاحِدَة من الذّكر الَّذِي عِنْد رب الْعِزَّة حَتَّى وضع فِي بَيت الْعِزَّة فِي السَّمَاء الدُّنْيَا »[6]، وهذا لا يمنع أن يكون ابتداء الإنزال المنجم بغار حراء في

---

(1)– فسورة البروج قبل الواقعة كما هو صريح بعض الروايات، وما تشير إليه أخرى، انظر: ا"لإتقان" للسيوطي (1/42– 43).

(2)– وقال آخرون هي الصحف التي بأيدي الملائكة على ما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ ﴾ [عبس]، وهو اختيار ابن القيم من وجوه عدة عددها في كتابه "التبيان في أقسام القرآن" (226)، وقال آخرون هو المصحف الذي بأيدي المسلمين، وهذا القول أضعفها، والله أعلم.

(3)–أبو شهبة، "المدخل لدراسة القرآن"، (48)، وانظر:"نزول القرآن الكريم" لمحمد عمر حويه (22)، و"نزول القرآن الكريم" للشايع (27).

(4)– وهو المعروف من معنى النزول في اللغة الدال «على هُبوط شيء ووقُوعه»، كما في "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (5/334)، وانظر كلاما لابن تيمية في "المجموع" (12/257) في هذا المعنى.

(5)– قال ابن تيمية في "المجموع" (12/126): «وغيره من السلف» كسعيد بن جبير، والربيع بن أنس رحمهما الله، انظر: "السنن" لسعيد بن منصور (2/293)، "الدر المنثور" للسيوطي (7/399، 8/567)، وسفيان الثوري كما في "معجم ابن المقرئ" (355).

(6)– ورد هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما من عدة طرق، وبألفاظ متقاربة، تشترك في إثبات التنزل الجملي للقرآن الكريم إلى بيت العزة، وقد خرجه بتوسع محمد بازمول في كتابه "القراءات وأثرها ..." (19– 22)، وصحح هذا الأثر جمع من الأئمة كـــ: الحاكم في "المستدرك" صححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه ابن كثير، والزركشي، والسيوطي، وقال ابن النحاس في "إعراب القرآن": «وأما الحديث في تنزيل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فصحيح غير مدفوع عند أهل السّنّة وإنّما يدفعه قوم من أهل الأهواء» (5/165).

وابن عباس رضي الله عنهما يخبر عن أمر غيبي لا تبلغه العقول فله حكم الرفع، ومتعلق بالقرآن الكريم، فلا تعلق للإسرائيليات بذلك، وصح عنه في البخاري (2539) عدم الأخذ عنهم في أمور الدين مطلقا، وجعل القرطبي هذا التنزل: «لا خلاف» فيه (2/297).

ليلة القدر[1]، فيتفق في ليلة القدر النزول الجملي، وبداية المفرق، قال علم الدين السخاوي رحمه الله: «وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ يشمل الإنزالين»[2].

التنزل الثالث: نزوله مفرقا ومنجما، ودليله في قوله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ ﴾ [الإسراء]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾ [الفرقان]، وآيات أخرى يأتي ذكرها في المبحث الآتي.

هذه التنزلات الثلاث، يهمنا منها الأول والثاني، من حيث تلمس معالم الرحمة فيهما، على ضوء ما فيهما من حكم، فمما يذكر لهاذين التنزلين الجُمليين:

أولا: محض التفضل والإنعام، بالتعليم والإعلام، باستقرار القرآن في سابق علم الرحمن سبحانه، ثم حفظه له مسطورا في ديوان عظيم، محفوظ كريم، عظيم الخلق، حوى ما جلَّ ودقَّ، فليس إلى هذا من سبيل، إلا بإعلام الجليل.

ثانيا: لا يخفى على كل عارف ما في ذلك من عظيم مقامات الإيمان، وهو يرى بعين بصيرته تلك العوالم الفوقية، والملكوت العلوي، وما أجراه الله فيه، تمهيدا لما سينزل إليه من خير دينه ودنياه.

ثالثا: إن كون القرآن الكريم في اللوح (المحفوظ)، والكتاب (المكنون)، وبيت (العزة)[3]، مؤذن ببالغ حفظ الله تعالى له، وعظيم صيانته، عن كل شيطان مارد، أو جني عفريت، وذلك من عظيم الرحمة والمنة، لما يضفيه على قلب العبد من الطمأنينة المطلقة[4].

رابعا: أن «في تعدد النزول، وأماكنه مرة في اللوح، وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي صلى الله عليه وسلم: في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن، وزيادة للإيمان، وباعث على الثقة فيه»[5].

خامسا: وأما إنزاله إلى السماء الدنيا جملة: فـ «في ذلك تكريم بني آدم، وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله عزّ وجلّ بهم، ورحمته لهم»[6].

---

(1)– قال ابن كثير: «والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان كما نص على ذلك عبيد بن عمير، ومحمد بن إسحاق، وغيرهما» "السيرة النبوية" (392/1). وقال ابن حجر: «وابتداء وحي اليقظة كان في رمضان» "فتح الباري" (37/1)، و(57/9، 43/1)، واختار صاحب "الرحيق المختوم" (56) – بحثا وتحقيقا – أنه في اليوم الحادي والعشرين من رمضان.

(2)– السخاوي، "جمال القراء"، (22/1– 23)، وانظر: "فتح الباري" لابن حجر (5/9).

(3)– ثلاثتها من الصفات الدالة على بالغ الصيانة والرعاية والحراسة فـ «إذا كان القرآن في لوح، وكان اللوح محفوظا، فالقرآن محفوظ أيضا» "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي (7/6). ومكنون: أي «مصون عند الله لا يمسه شيء من أذى» "جامع البيان" (149/23)، والبيت أضيف للعزة لاستكماله معانيها من قوة وشدة وقهر، ورفعة وشرف ومنعة، وما في معناه انظر: "معجم المقاييس" لابن فارس (38/4).

(4)– علي بن سليمان العبيد، "حفظ القرآن الكريم"، (9).

(5)– الزرقاني، "مناهل العرفان"، (42/1).

(6)– السخاوي، "جمال القراء"، (153/1).

سادسا: و«فيه تفخيم لأمره، وأمر من أنزل عليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب، المنزل على خاتم الرسل لأشرف الأمم، قد قربناه إليهم لننزله عليهم»[1]، وفي ذلك من منة الله على خلقه ولطفه بهم ولهم، ما هو ظاهر.

سابعا: وفي وقوع هذا التنزيل جملة إكرام وإنعام على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى أمته لئلا تعلوها أمة من الأمم في شأن من الشؤون، فجمع لها الإنزال جملة وتفصيلا[2]، جملة كسائر الأمم قبلها، وتفريقا وتنجيما مزيدا في الاعتناء والامتنان عليها.

ثامنا: وقوع هذا التنزيل في ليلة القدر المباركة، فيه مزيد امتنان وفضل وإنعام من الرحمن، لما فيه من الاصطفاء بعد الاصطفاء، فقد اصطفى لخير كتبه خير الأوقات والليالي إنزالا، وخير البشرية إرسالا، قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، فـ« عظَّم القرآن من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره، ...، والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه»[3]، وقال السعدي: « يقول تعالى مبينًا لفضل القرآن وعلو قدره: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ وذلك أن الله تعالى، ابتدأ بإنزاله في رمضان في ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمة عامة... »[4].

تلك بعض ما في ذينك التنزلين من أوجه الرحمات، مما فتح به رب البريات، لنصرف القول بعدها إلى الكلام في ثالثها، في المبحث التالي:

المبحث الثاني: معالم الرحمة في تنجيم القرآن وتفريقه.

تنزيل القرآن منجما ومفرقا مقرر في الآيات القرآنية، تصريحا وإشارة، وقد تقدم ما يدل لذلك صراحة، ونتبعه بما هو إشارة[5]، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ **[البقرة:106]، وقوله تعالى:** ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ **[النساء:140]، وقوله تعالى:** ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ ﴾ **[النساء:164]، وقوله تعالى:** ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾ **[الأنفال]، وقوله تعالى:** ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ﴾ **[يونس:15]، وقوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدۡ

---

(1)– أبو شامة، "المرشد الوجيز"، (24) وانظر: "البرهان" للزركشي (230/1)، و"الإتقان" للسيوطي (149/1).

(2)– السخاوي، "جمال القراء"، (154/1)، أبو شامة، "المرشد الوجيز"، (24). وفيه بحث سيأتي.

(3)– الزمخشري، "الكشاف"، (780/4)، وانظر: "مفاتيح الغيب" للرازي (228/32)، و"أنوار التنزيل" للبيضاوي (327/5).

(4)– عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، (931).

(5)– قال الرازي في "تفسيره": «﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾وَتَوْصِيلُ الْقَوْلِ هُوَ إِتْيَانُ بَيَانٍ بَعْدَ بَيَانٍ، وَهُوَ مِنْ وَصَلَ الْبَعْضَ بِالْبَعْضِ، وهذا القول الموصل يتحمل أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ مُنَجَّمًا مُفَرَّقًا يَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ...» (607/24).

ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ ﴾ [الحجر]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ ﴾ [النحل]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ﴾ [النحل:118]، **وغيرها من الآيات، وأما دلائل ذلك من السنة والسيرة النبوية فأكثر من أن تحصر، بل هو مما تجمع عليه أمة الإسلام فضلا عن علمائها.**

وقد أوضحت آيات القرآن الكريم بعض كيفية هذا التنزيل فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾ [الشورى]، **وقال تعالى:** ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشعراء]، **وقال** ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣ ﴾ [الحاقة].

فالقرآن الكريم وحي رب العالمين، بواسطة جبريل الأمين، على قلب سيد المرسلين، يُوحي الرحمن ما يشاء من وحيه، على ما تقتضيه حكمته وربوبيته، فيحفظه الأمينان بفضل ومنة من الرحمن، ولولا رحمته لما كان لهما ذلك في الإمكان، ثم يتلوه الصادق الأمين، ويَتلُو التلاوة بالتبيين، لتقوم حجة الله على الثقلين.

نزل القرآن منجما على الحبيب صلى الله عليه وسلم مدة نبوته ورسالته، على اختلاف الأزمان والأحوال، كان نتاج استقصائها، وتتبعها وتأملها، أنواعا وأفنانا من علوم القرآن، منها:

(المكي والمدني، الحضري والسفري،...) إلى النوع السادس عشر من أنواع علوم القرآن التي ذكرها السيوطي[1] رحمه الله في "الإتقان"، ومن كل نوع من تلك الأنواع لاحت جلية معالم الرحمة والامتنان، من الرحيم الرحمن، على جيل التنزيل من الأنصار والمهاجرين، وعلى من بعدهم من المسلمين، وهو ما سأحاول تتبعه ذا الحين، في النقاط الآتية:

أولا: إن من عظيم منة الله على نبينا صلى الله عليه وسلم أن اصطفاه لنفسه، وجعله من بين سائر البشر رسول وحيه، للعالمين بشيرا ونذيرا، وقال سبحانه مبينا رحمته على نبيه إذ أوحى إليه: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ﴾ [القصص:86]، **أي «إلا أن ربك رحمك فأنزل عليك»[2].**

ثانيا: إن ابتداء النزول المفرق ليلةَ القدر المباركة رحمةٌ من الله، ومزيدُ إنعام منه، على ما سبق بيانه آنفا.

ثالثا: لما كان وحي الله لنبيه بواسطة الرسول الملكي جبريل، كان في ذلك مزيد رحمة وإنعام على نبينا صلى الله عليه وسلم وأمته، إذ لم تكن للأمم قبلها مزية فوقها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا

---

(1)– في الإتقان (27/1– 28)، وهي: (النهاري والليلي، الصيفي والشتائي، الفراشي والنومي، الأرضي والسمائي، أول ما نزل وآخر ما نزل، أسباب النزول، ما نزل على لسان بعض الصحابة، ما تكرر نزوله، ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه، معرفة ما نزل مفرقا وما نزل جمعا، ما نزل مشيعا وما نزل مفردا،ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم،في كيفية إنزاله).

(2)– الفراء، معاني القرآن، (313/2)، وانظر: "جامع البيان" للطبري (642/19).

هذا المعنى: «وَمَنْ قَالَ: إنَّ جبرائيل أَخَذَهُ عَنْ الْكِتَابِ، لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ. مِنْهَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ كَتَبَ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى بِيَدِهِ؛ فَبَنُو إسْرَائِيلَ أَخَذُوا كَلَامَهُ مِنْ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ، وَمُحَمَّدٌ عَنْ جِبْرِيلَ عَنْ الْكِتَابِ فَهُمْ أَعْلَى بِدَرَجَةٍ»[1]، وهو لازم باطل فدل على بطلان الملزوم، فنبينا صلى الله عليه وسلم أعلا درجة لما كان وحي الله إليه بواسطة ملك الوحي فقط.

رابعا: إن في تنزله مفرقا بعد نزوله جملة مزيد إنعام على نبينا صلى الله عليه وسلم وأمته، وتفضيلا لها على غيرها من الأمم بإنزاله جملة، ورحمة بها في تنزيله منجما[2].

خامسا: قد حفظ الله سبحانه السماء الدنيا إذ أوحى إلى خاتم رسله، خاتمة كتبه[3]، فبعدما كان في السماء الدنيا مقاعد يُقعَد فيها لاستراق السمع، جعل الله نجومها شهبا مرصدةً للشياطين، فقال رب العالمين: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصافات]، وهو من مظاهر حفظ الله تعالى لكتابه، التي شملها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، «حَفِظَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ الشَّيَاطِينُ بَاطِلًا أَوْ تَنْقُصَ مِنْهُ حَقًّا»[4]، وذا من أعظم رحمات الله على خلقه أن تَولَّى هو سبحانه حفظ كتابه.

سادسا: ما جاء صريحا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ﴾ كان إنزاله منجما ومفرقا، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ﴾، في كل مرة ينزل عليك، ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾ [الفرقان]، وهذا من جميل رحمة الله بعبد ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال أبو شامة: « فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه»[5].

سابعا: أن في تنجيم القرآن وقراءته صلى الله عليه وسلم له على المؤمنين على مكث، مزيدا من التثبيت لهم على أمور الدين والشريعة، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾ [النحل]، « ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾، ليثبِّت الله الذين آمنوا على الإيمان بأنه كلامه، وأنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت

---

(1)– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (224/15)، وفي هذا أيضا إبطال لقول من قال إن ابتداء التنزيل المنجم كان من بيت العزة.

(2)– سواء أكان التنجيم من خصائص هذه الأمة على قول بعضهم، أم كان من خصال الشرائع جميعها.

(3)– علي بن سليمان العبيد، "جمع القرآن الكريم"، (10).

(4)– القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، (5/10).

(5)– أبو شامة، "المرشد الوجيز"، (28).

قلوبهم»[1]، وليثبتهم «بما فيه من الحجج والآيات»[2]، و«ليحفظ قلوب الذين آمنوا على الإسلام... ولِتطمئن إليه قلوب الذين آمنوا، وَهُدىً من الضلالة وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ بالجنة»[3]، وكل هذا من صنوف نعمه على عباده، ورحمته بهم.

ثامنا: إن في تنزيل القرآن الكريم منجما ومفرقا مزيدا من التواصل بين الرسولين، وهذا مما يُسرُّ به كل واحد منهما، فقد كان كل منهما يشتاق للآخر، حتى قال صلى الله عليه وسلم: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾[مريم:64]»[4]، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أبطأ عليه جبريل: «يَا جِبْرِيلُ مَا نَزَلْتَ حَتَّى اشْتَقْتُ إِلَيْكَ، قَالَ –جبريل– أَنَا كُنْتُ أَشْوَقَ إِلَيْكَ وَلَكِنِّي مَأْمُورٌ»[5]. فقد كان صلى الله عليه وسلم يُروِي مرة بعد مرة شوقه إلى جبريل بهذا التنزل المتواصل، ولو نزل نزل القرآن جملة لما كان ذلك، وإلى هذا المعنى أشار أبو شامة بقوله: « ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك عليه، وتجديد العهد به، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة»[6]، فإنه « إِذَا شَاهَدَ جِبْرِيلَ حَالا بَعْدَ حَالٍ يَقْوَى قَلْبُهُ بِمُشَاهَدَتِهِ فَكَانَ أَقْوَى عَلَى أَدَاءِ مَا حُمِّلَ، وَعَلَى الصَّبْرِ عَلَى عَوَارِضِ النُّبُوَّةِ وَعَلَى احْتِمَالِهِ أَذِيَّةَ قَوْمِهِ وَعَلَى الْجِهَادِ»[7]. وكذلك كانت حال جبريل عليه السلام ولا شك.

تاسعا: ويتبع ذلك أن في تفريقِ نزول القرآن الكريم تفريقا لما تضمنته آياته من التكاليف والأحكام، قال سبحانه ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء]، فـ«لَوْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ جُمْلَةً وَاحِدَةً عَلَى الْخَلْقِ لَنَزَلَتِ الشَّرَائِعُ بِأَسْرِهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً عَلَى الْخَلْقِ فَكَانَ يَثْقُلُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، أَمَّا لَمَّا نَزَلَ مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا لا جَرَمَ نَزَلَتِ التَّكَالِيفُ قَلِيلا قَلِيلا فَكَانَ تَحَمُّلُهَا أَسْهَلَ»[8]، وهو من عظيم رحمة الله بخلقه ولطفه ورأفته بهم. بهم.

---

(1)– البيضاوي، "أنوار التنزيل"، (240/3).

(2)–القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن "، (177/10).

(3)– السمرقندي، "بحر العلوم"، (292/2)، وانظر: "التفسير" لابن كثير (603/4).

(4)– أخرجه البخاري (3064، 4454، 7017).

(5)– أخرجه الطبري في "جامع البيان" (223/18) من طريق قتادة به، وابن أبي حاتم في "تفسير" (2414/7) من طريق عكرمة، عزاه في "فتح الباري": لـ «عَبْدِ بْنُ حُمَيْدٍ وبن أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ » (429/8)، وكذا في "الدر المنثور" (530/5)، وهو حديث مرسل، وقال ابن كثير في "تفسيره": «وَهُوَ غَرِيب» (274/9)، وحسن حكمت بشير طريق قتادة في "الصحيح المسبور" (345/3)، وانظر: "فتح القدير" للشوكاني (345/3).

(6)– أبو شامة، "المرشد الوجيز"، (28).

(7)– الرازي، "مفاتيح الغيب"، (457/24).

(8)– الرازي، "مفاتيح الغيب"، (457/24).

عاشرا: إن في تفريق آي الذكر تنزيلا لَتيسيرا لحفظه على الأمة، وهو من معاني الآية السابقة، خاصة على قراءة من قرأ (فَرَّقْنَـــاهُ)[1]، «ولا شك أن تفريق النص الذي يراد حفظه يُيَسر الأمر على من يريد أن يحفظه»[2]، فقد أنزل الله القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم مفرقا ليقرأه على المؤمنين على مَهَل وترسل، ولـــ«تكون ألفاظه ومعانيه أثبت في نفوس السامعين»[3]، فسبحان من شمل تنزيله للقرآن مفرقا كل هذه الرحمات، والحكم والنعم والمسرات.

المبحث الثالث: معالم الرحمة في المكي والمدني.

نزول القرآن منجما، واستمرار الوحي الرباني بحسب الوقائع والأحوال، ثم بداية الدعوة بمكة، وانتشارها في البلدان، وكذا الهجرة وما نتج عنها من استقرار الكيان الإسلامي بالمدينة، كل ذلك كان سببا في تنوع مواضع نزول القرآن الكريم وموضوعاته[4]، فأما مواضيعه فأكثر من أن تعد أفرادها، وأما أنواعها فهي: (عقيدة وشريعة وقصص).

فأما مواضعه فكان منه المكي والمدني، السفري والحضري، النهاري والليلي، الصيفي والشتائي، الفراشي والنومي، الأرضي والسمائي، أول ما نزل وآخر ما نزل، ويجمعها جميعا (علم المكي والمدني)[5].

علم مكي القرآن ومدنيه من العلوم الجليلة، والمعارف النبيلة، ذو أهمية بالغة لِمُعاني معاني التنزيل، وضرورة لازمة لمستنبط أحكام القرآن بالنظر والتأويل، ولذا كان كلام أهل العلم في بيان فائدته غير قليل.

تضمنت مباحثه أفنانا وارفة، ووفى بمعارف واسعة وفاء: "جعل بحوثه أشتاتا وألوانا، فهو في آن واحد ترتيب رباني، وتحديد مكاني، وتبويب موضوعي، ويقين شخصي"[6]. وقد عُلم لدى الدارسين أن في تحديد معنى المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة، لها باطن، وظاهر:

---

(1)– قال ابن جني: هي «قراءة علي وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم والشعبي والحسن بخلاف وأبي رجاء وقتادة وحميد وعمرو بن فائد وعمر بن ذر وأبي عمرو بخلاف» "المحتسب في القراءات الشواذ" (23/2)، وانظر: "الجامع" للقرطبي (339/10)، و"القراءات الشاذة وتوجيهها" لعبد الفتاح القاضي (549).

(2)– غانم قدوري، "محاضرات في علوم القرآن"، (33)، وهل من ذلك تيسير حفظه على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره بعضهم كـــ: أبي شامة في "المرشد" (28)، والزمخشري في "الكشاف" (283/3)، وغيرهما؟ الظاهر عدم ذلك فقد صرح القرآن أن حفظ الوحي مكفول للنبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ ﴾ [الأعلى]،و (لا) هنا نافية، بمعنى أنك تحفظه ولن تنساه، وليس أدل على ذلك أيضا من حفظ آدم للأسماء كلها التي علمه الله إياها دفعة واحدة، والله أعلم.

(3)– الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (231/15)، وانظر: "أضواء البيان" للشنقيطي (188/3).

(4)– انظر: "المعجزة الكبرى" لأبي زهرة، (19).

(5)– انظر: "الإتقان" السيوطي، (28/1).

(6)– صبحي الصالح، "مباحث في علوم القرآن"، (167).

ظاهرها اختلاف في العبارة والاعتبار، بين مكان النزول وزمانه وتوجه الخطاب، وهي اتفاق على التدقيق والتحقيق[1].

وباطنها الرحمة الإلهية الواصلة للعبيد، والمتواصلة على استمرار الزمان القريب والبعيد، باطنها الرعاية الربانية بما أنزله روحا وأمرا، بمكة والمدينة قبل الهجرة، وبعدها دينا وشرعا، نهيا وأمرا، رحمة امتزجت بحكمة فأخرجت في مخاض عسير أحوال المسلمين من ضيق وذل وشقاء وابتلاء إلى فسحة دين وعزة ونقاء وارتقاء، يصحبهم في هذا وذاك قرآن مكة والمدينة بخصائص معلومة فيهما.

تلك الخصائص التي يلحظ فيها الناظر مزيد الاعتناء الرباني، والعطاء الإلهي المعين على نوائب الزمان، والقامع للأعداء في كل مكان، ففي ظل السيطرة القرشية الظالمة المعاندة، يأتي القرآن المكي قوي البيان والعبارات، قصير المقاطع والآيات، واصلا بإيجازه إلى المسامع النافرات، شديد الزجر لتكذيبهم، قوي التحدي لفصاحتهم، دامغا لاعتراضهم، بالغ الحجة ناصع المحجة، تصحيحٌ للعقيدة، ورسمٌ لمعالم الشريعة، إلجاء لصحيح العقول إلى الحق، بقص القصص الصدق، داعيا إلى المكارم والفضائل، وجميل الخصال والشمائل.

ليأتي بعده القرآن المدني، غير بعيد الخصائص عنه، وغلب عليه إطناب آياته بلاغة، إيضاحا وبيانا للأحكام الشرعية، والأحوال التعبدية، والحدود الردعية، حث على دعوة الناس باللسان والسنان، وأيد المؤمنين على أهل الكتابين والمنافقين، فعرَّف منهم الأقوال والأفعال، وفضح منهم كل حال، ثم يكون به حسن الختام، إيذانا باكتمال الدين على التمام، لجميع الأزمان، وكافة الأنام.

فأين عين البصيرة عن تلك الرحمات:

ففي قصر آيات المكي رحمة لما في ذلك من يسر قراءة، وسهولة حفظ، وقوة إعجاز، وفصاحة إيجاز[2].

وفي طول آيات المدني مثلها، وقوة تأصيل، واستطراد تفصيل، إطناب وإسهاب، تلذذا وأجرا بآي الكتاب.

وفي هذه وتلك أمثالهما، برسم سبيل الدعوة إلى الله تعالى التي: «تحتاج إلى نهج خاص في أسلوبها إزاء كل فساد في العقيدة، والتشريع والخلق والسلوك، ولا تفرض تكاليفها إلا بعد تكوين النواة الصالحة لها، وتربية اللبنات التي تأخذ على عاتقها القيام بها، ولا تسن أسسها التشريعية، ونظمها الاجتماعية إلا بعد طهارة القلب، وتحديد الغاية حتى تكون الحياة على هدًى من الله وبصيرة»[3]، وإلى هذا المعنى تشير السيدة عائشة

---

(1)– قال مساعد الطيار: «والمقصود هنا التنبيه على أنه لا تعارض بين مذهب السلف في التعبير عن النُّزول بالمكان، وما ذهب إليه المتأخرون من العلماء من أن ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني؛ لأن السلف كانوا يعتنون بذكر المكان، ويعملون بالزمان في تطبيقاتهم التفسيرية» "المحرر في علوم القرآن" (105).

(2)– محمد بكر إسماعيل، "دراسات في علوم القرآن"، (/49– 50).

(3)– مناع القطان، "مباحث في علوم القرآن"، (49)، أشار إلى هذا المعنى أيضا من التدرج في الدعوة: الزرقاني في "مناهل العرفان" (167/1)، وأبو شهبة في "مدخل لدراسة القرآن" (219).

رضي الله عنها حين قالت: « ... إنما نزل أوّل ما نزل منه –أي من القرآن– سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[القمر] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»[1] . أشارت إلى الرحمة الربانية، و«الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام ... »[2]. فمكي القرآن ومدنيه «يهدي سير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه خُطوة خطوة نحو .. الهدف، وهو يحوطهم كل لحظة بالعناية الإلهية المناسبة، فهو يعزز جهودهم، ويقوي إرادتهم، حتى تكلل ذلك الكفاح بالنصر المبين، فالحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي نهض بأعبائها الإسلام لا سر لها إلا في هذا التنجيم»[3].

ومن توابع موضوع المكي والمدني، معرفة أول ما نزل، وآخره، وما انطوى تحتهما من معالم للرحمة، وهما وجهة ما يأتي من كلام:

فأما أول ما نزل[4] على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم حراء فقوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق]، وفي هذا الاستفتاح الإلهي براعة استهلال[5]، لتلك الصلة العظيمة بين الأرض والسماء، و«إشادة بالقلم وخطره، وبالعلم ومنزلته في بناء الشعوب والأمم، فما أصدقها من طلائع تجعل العلم والمعرفة من أخص خصائص الإنسان»[6]، فبه أرشد من العمى، ومن الضلالة هدى.

كما تجسد فيها «تصوير حي لأضخم حدث في تاريخ البشر شهدت به الإنسانية نفسها تولد ميلاد جديد يصلها بالسماء وأسرارها ولا يلصقها بالأرض وأوحالها، فيوجه المقطع الأول من هذه السورة محمد رسول الله إلى الاتصال بالملأ الأعلى والقراءة باسم الله، فمنه المنشأ وإليه المصير، وهو الذي كرم الإنسان

---

(1)– أخرجه البخاري (4707، 4595)، وغيره.

(2)– ابن حجر، "فتح الباري"، (40/9).

(3)–غانم قدوري، "محاضرات في علوم القرآن"، (33).

(4)– وهو قول الجمهور، ويكاد يكون إجماعا، انظر: "الإتقان" للسيوطي (91/1)، و"المحرر" لمساعد الطيار (79– 82).

(5)– الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، (435/30).

(6)– أبو شهبة، "السيرة النبوية "، (260/1). و"علوم القرآن" للعتر (36)، و"تيسير التفسير" لإبراهيم القطان (441/3).

بتعليمه أسرار الوجود، وتمكينه من استعمال "القلم" رمز العلم والتعليم، ...»[1]، «فلله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها على جزاء ولا شكور»[2].

وأما آخر ما نزل[3] فقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة]، وفيها من براعة الاختتام، أبلغه وأتمه، رحم الجليل سبحانه عباده فذكرهم بتقواه، وحثهم على العمل بما يرضاه، وأعد لهم الجزاء الأوفى، ووعدهم المغفرة وعدم الظلم ووعده مُوفًّى.

رجمهم بتاء الخطاب تذكيرا، ورجمهم بياء الالتفات توقيرا، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا يُرۡجَعُونَ[4] فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾، «رفقًا من الله سبحانه بصالحي عباده المطيعين لأمره. وذلك أن العود إلى الله للحساب أعظم ما يخوَّفُه ويُتوعَّدُ به العباد، فإذا قرئ: ﴿تُرۡجَعُونَ ...﴾ فقد خوطبوا بأمر عظيم ...، فكأنه تعالى انحرف عنهم بذكر الرجعة فقال: ﴿يُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾...»[5]، جميعا، أبرار وفجارا.

تلك بعض جوانب الرحمة في المكي والمدني من القرآن وتوابعهما، والمتأمل ممن فتح الله عليه يُكشف له ما هو أكثر، وفوق كل ذي علم عليم.

المبحث الرابع: معالم الرحمة في أسباب النزول.

ووجه ارتباطه بما قبله أن تنزل القرآن الكريم جملة ومنجما، مكيا ومدنيا، لم يكن إلا لهداية الناس إلى الحق والصراط المستقيم، وزادت آيات على هذا السبب العام بسبب خاص مرتبط بها دون غيرها، وهذا السبب الخاص هو الذي يبحثه العلماء تحت مبحث "أسباب النزول"، وعليه فآي القرآن قسمان:

– الأول: ما نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة، وإنما هو مرتبط بالسبب العام وهو هداية الناس، وهذا القسم هو أكثر آيات القرآن الكريم.

– الثاني: قسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة يسميه العلماء "سبب نزول الآية" وآيات هذا القسم هي الأقل[6]. جملة تلك الأسباب الخاصة هي ما اصطلح على تسميته "سبب النزول أو سبب التنزيل": «وهو

---

(1)– صبحي الصالح، "مباحث في علوم القرآن"، (186).

(2)– السعدي، "تيسير الكريم"، (186).

(3)– على الراجح في المسألة قال القرطبي هذا القول: « أَعْرَفُ وَأَكْثَرُ وَأَصَحُّ وَأَشْهَرُ » "الجامع لأحكام القرآن" (375/3)، وانظر: "فتح الباري" لابن حجر (205/8)، و"الإتقان" للسيوطي (101/1– 102).

(4)– وهي قراءة: الحسن البصري كما في "المحتسب" لابن جني (145/1)

(5)– ابن جني، "المحتسب"، (145/1)، وانظر: "المحرر" لابن عطية (378/1)، و"الجامع" للقرطبي (376/3).

(6)– فهد الرومي، "دراسات في علوم القرآن"، (135). وانظر: "الإتقان" للسيوطي (107/1)، "الفوز الكبير" للدهلوي (31).

ما نزلت الآية أو الآيات تتحدث عنه أيام وقوعه»[1]، ونحو ذلك. وهذه الأسباب في الحقيقة: «ما هي إلا مناسبات لا أسباب حقيقة، وإن سميت أسبابا على طريقة التسامح والتجاوز»[2]، فليس نزول القرآن الكريم متوقفا على وجود تلك الحوادث، وإنما جعلها الله واقعة قدرا، وأنزل القرآن الكريم إثرها بيانا لشرعه، وإنفاذا لحكمه، على مقتضى حكمته حالا ومآلا، ولذلك المعنى أيضا اتفقت كلمة أهل العلم: «على أن ما يدل عليه الكلام القرآني، هو الذي يؤخذ به، على ما في دلالته من عموم واتساع، ... وهو معنى قول علماء أصول الفقه: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[3].

ومن ذينك القسمين نتلمس بعض معالم رحمة الله بخلقه في تنزيل القرآن، وأسبابه، فلئن كان تنزيل آي الذكر الحكيم ابتداء من غير سبب قد ظهرت فيه معالم رحمة الله بخلقه في هدايتهم، وعنايته بهم، توجيها وإرشادا، عقيدة، وشريعة، وآدابا، وقصصا، ووعدا، ووعيدا. فإن معالم رحمته ومزيد عنايته في ما نزل بسبب أشد ظهورا، وأكثر وضوحا، بل هو الحال الذي تقصر عنه عبارات الفصيح تصويرا لتلك العناية الفائقة من الرحمن سبحانه بعباده، حين تسير أحداث البشرية على ما يوافق سابق قضاء الله وقدره، فتأتي آيات الذكر توضح شرعه ومرضاته، في حكمة بالغة، ومقاصد باهرة، رحمة بعد رحمة، عامة فخاصة، خاصة فأخص، ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة].

تلك الأسباب التي ترى فيها البصائر الحية متابعة الله تعالى حياة خلقه وعباده، وتغيرها، وإنعامه سبحانه عليهم بما يهديهم إلى سبيله القويم، وصراطه المستقيم، وبما يصحح لهم العقائد والأحوال، الظاهرة والباطنة، من الأقوال والأفعال، فاستحضار العبد نظر الله إليه، ومراقبته له، ومتابعته أحواله من المقامات التي تطرب لها قلوب المقربين، وتخشع لها قلوب أصحاب اليمين، وتخضع لها رقاب المكذبين.

تلك الأسباب التي على اختلاف ما يتزل إثرها من آي الذكر الحكيم تملأ قلوب المؤمنين يقينا باستشعار رقابة الله لهم، ويحس منها الكفار لوعة مما أدركوا من قدرة الله عليهم، وإحاطته بهم، وفي ذلك من الزجر لهؤلاء، والرأفة بأولئك ما يعجز عن إدراك كنهه كل حكيم، فهو ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

تلك الأسباب التي أوضحت لمن نزلت الآيات فيهم مدى رعاية الله سبحانه لهم، ورحمته بهم، وهو يسوقهم إلى العمل قدرا، ويبينه لهم شرعا وأمرا، ثم يتوب عليهم ويمحو عنهم وزرا، تلك التي أعلت مقام الصادقين تخليدا لأسمائهم، وإشادة بأعمالهم، ونشرا لفضلهم. بل لقد وافق الرب الجليل بعضهم حتى أنزل الآيات على

---

(1)– وهو ما اختير تعريفا لسبب النزول، انظر:"الإتقان" للسيوطي(116/1)، وأما علم أسباب النزول فهو العلم المهتم بهذه المسائل.

(2)– محمد الفاضل بن عاشور، "التفسير ورجاله"، (15)، وغانم قدوري، "محاضرات في علوم القرآن"، (211)، إذ الأسباب في تعريفها: ما يُوجد المسبَّبَ، سواء أكان السبب تاما أو غير تام، انظر: "التعريفات" للشريف الجرجاني (69).

(3)– محمد الفاضل بن عاشور، "التفسير ورجاله"، (15).

ألفاظ مقالهم[1]، فيالهول المقام لمن تأمله، وما أعظم إحسان الجليل عليهم لمن تدبره، أن يوافق السيد العظيم المستوي على عرشه فوق خلقه، أن يوافق قول أحد عبيده الضعفاء كلمة كلمة، وحرفا حرفا، إنه لإحسان عظيم من السيد، رحمة وامتنانا، وإنه لمقام كريم لذلك العبد الضعيف، خشوعا واستبشارا ويقينا.

تلك الأسباب التي تحمل في طياتها ما يرسخ في النفوس عقيدة التوحيد، وانفراد الله القدير بالملك والتدبير، كيف لا وهم يرون أفضل الخلق رسول الهدي صلى الله عليه وسلم يقف عن كل حديث، يقف عن أي تقدم بين يدي الله الواحد القهار، وهو ينتظر حكمه تعالى فيما يعتريه من أسئلة وأحوال، قد اشتد على المؤمنين في بعضها الحال، وقد علم الله لهم بما يُنَزِّل يُسر المآل.

ثم إن في ارتباط نزول الآيات بمناسبة معينة، حكمة تشريعية، وتربوية عظيمة، تجعل من الحكم الذي تتضمنه تلك الآيات تجربة واقعية، وتطبيقا عمليا في المجتمع، يتم تحت نظر النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه، ويدرك حكمة التشريع الذي تتضمنه تلك الآيات كل من كان شاهدا وقت نزولها، وكل من وقف على تلك المناسبة وعرف قصتها، فنزول الحكم وقت الحاجة إليه يكون أبعد أثرا في نفوس المخاطبين، ويكونون أكثر استجابة له[2]، وأكثر استحضارا له متى تشابه الحال، وأسير عليهم حفظا متى تشابهت الألفاظ، وأكثر تمرسا وإدراكا لمعاني العبارات، متى زاغت عنها الأعين الناظرات[3].

كما أن في إدراك حكمة الله سبحانه في شريعته المستفاد من أسباب النزول، في ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن، أما المؤمن فيزداد إيمانا على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام ومن أجلها جاء هذا التنزيل. وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفا حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان لا على الاستبداد والتحكم والطغيان خصوصا إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد[4].

هذا، ومن فروع باب أسباب النزول المهمة فرعان، أنبه على بعض معالم الرحمة فيهما:

فأما أولهما: فهو (تعدد الآيات النازلة، واتحاد السبب)[5]، وفي ذلك من الفضل ومزيد الرحمة والامتنان ما هو ظاهر للعيان، فما من شك أن كل آية نزلت قد زفت للمؤمنين ألوان البشائر، تلاوة وترتيلا، تدبرا وتأملا، حُكما وتشريعا، امتثالا وانقيادا، اغتناما وأجرا، كما أن فيه من الإقناع وظهور الحجج المتعددة، وتمام

---

(1)– وبوب عليها السيوطي بقوله: « فيما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة » "الإتقان" (127/1).

(2)–غانم قدوري، "محاضرات في علوم القرآن"، (36)، ومناع القطان، "مباحث في علوم القرآن"، (75).

(3)–الزرقاني، "مناهل العرفان"، (95/1).

(4)– الزرقاني، "مناهل العرفان"، (91/1).

(5)– السيوطي، "الإتقان"، (124/1).

البيان ما هو ظاهر، ترتقي به قلوب المؤمنين في معارج الهدى والإيمان، وأما غيرهم فزادهم رجسا إلى رجسهم.

وأما ثانيهما: فهو (ما تكرر نزوله)[1]، وفي هذا التكرر مزيد إنعام وفضل وإحسان، من الرب الرحمن، كيف لا فهو أعظم دلالة على عظمة ما نزل وتكرر، لئلا تغفل عنه القلوب، والأبصار، فيترقبوا غيره تنزيلا، وهو بين أيديهم واضحا دليلا، كيف لا وهو من أوضح تجليات رحمة المنعم إذ يُذكِّر عباده ما ينفعهم، وينزل عليهم ما نزل فيستقر به حفظهم، وتتمكن به في الاستنباط ملكاتهم، وهم يرون اتفاق الأحكام في اختلاف الأحوال والأيام، وهو ما يوضح لهم الِحكم الربانية، والمقاصد الدينية.

وينبه أخيرا إلى أن مما تتنازعه مباحث الموضوع، ذكر أول ما نزل من القرآن، وآخر ما نزل منه، ومعالم الرحمة فيهما، فقرابتهما بمبحث أسباب النزول وأحواله كأبناء العمومة، وقرابة أول ما نزل من القرآن المكي، وقرابة آخر ما نزل من القرآن المدني قرابة ظاهرة معلومة، ولمقام ذلك التنازع قدمت ذكرهما في المبحث السابق، (معالم الرحمة في المكي والمدني)، على اعتبار أن أول ما نزل من القرآن الكريم لم يكن له سبب خاص، وكذا آخر ما نزل منه على الأرجح كما تقدم.

المبحث الخامس: معالم الرحمة في المنسوخ والناسخ[2].

يهتم علماء القرآن[3] بتقديم الناسخ الذي استقر حكمه شرعا، أما بحثنا فنظره إليهما من حيث التنزيل، فسبق المنسوخ لا يحتاج إلى دليل، أنزلهما الله لحكمة، وضمَّنهما معالم الرحمة، ومع اختلاف الأئمة في هذا المبحث طويلا تفريعا وتأصيلا، فقد اتفقوا على أصله لدلالة النصوص الشرعية عليه، ومما جاء فيه من آي التنزيل الحكيم، قول الرحمن الرحيم: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾ [البقرة:106]، وقال

---

(1)– عند من أجاز ذلك من أهل العلم، كابن الحصار، والزركشي، والسيوطي، انظر: "الإتقان" (130/1)، وهو من المسائل الجديرة بالبحث والتمحيص، لارتباطها بجملة من العلوم الأخرى، كالمتشابه اللفظي للقرآن، وعلم القراءات، وأسباب النزول.

(2)– كلاهما من مادة (نسخ) وهي في اللغة لمعنى: النقل والإزالة والتغيير، قال ابن فارس: «أصلٌ واحد، إلاّ أنّه مختلفٌ في قياسِه. قال قوم: قياسُه رفْعُ شيءٍ وإثباتُ غيرِهِ مكانَه. وقال آخرون: قياسُه تحويلُ شيءٍ إلى شيءٍ» "معجم المقاييس" (424/5)، وانظر: "القاموس" (261)، ويطلق الناسخ اسم الفاعل على الشارع، والنص الناسخ، والحكم الناسخ، وأما المنسوخ اسم المعول فواحد، وفي اصطلاح أهل العلم النسخ هو: « رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متأخر عنه » "المهذب في علم أصول الفقه" لعبد الكريم النملة (530/2)، وانظر أيضا:

(3)– مبحث النسخ من المباحث المشتركة بين علوم القرآن الكريم، وعلم أصول الفقه، وهو في الثاني أوسع لاعتنائه بالنسخ في نصوص السنة النبوية، ولمقام هذا التداخل اكتسى هذا البحث صعوبة أخرى في تعدد مصادره ومظانه، وكثرة مادته، ولذا اقتصرت فيه على ما تضمنته كتب علوم القرآن غالبا.

سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل].

وبعيدا عن الاختلافات الواسعة في باب الناسخ والمنسوخ، نقصر الكلام هنا على ما يناسب المقام، إشارة إلى أوجه رحمة الله بخلقه في تنزيله الناسخ عقب المنسوخ، وقد أشار علماؤنا إلى بعض ذلك ضمن أوجه الحكمة من النسخ عموما، وخصوصا، وهو ما سنشير إليه فيما يلي مع شيء من الزيادة، فأقول:

قد نبه الأئمة رحمهم الله على مدى الرحمة الإلهية البارزة في نسخ الله تعالى الأحكام بعضها ببعض، ولهم في ذلك أقوال مأثورة، منها: قول الشافعي رحمه الله (ت 204هـ) في "الرسالة": «وأنزل عليهم الكتاب تِبْياناً لكل شيء، وهُدًى ورحمةً، وفرض فيه فرائض أثبتها، وأُخْرَى نسَخَها، رحمةً لِخَلْقه، بالتخفيف عنهم، وبالتوسعة عليهم، زيادة فيما ابتدأهم به مِن نِعَمه. وأثابَهم على الانتهاء إلى ما أثبت عليهم: جَنَّتَه، والنجاة من عذابه؛ فعَمَّتْهم رحمتُه فيما أثبت ونسخ، فله الحمد على نعمه»[1]، وقال السخاوي علم الدين(ت 643هـ): «وحكمة النسخ اللطف بالعباد وحملهم على ما فيه إصلاح لهم»[2]، فالنسخ ليس عبثا من الله بل هو الحكمة منه سبحانه المنطوية على: «إِرَادَةَ الصَّلاحِ لِلْعِبَادِ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ الْعَاقِبَةَ فِي ذَلِكَ وَعَلِمَ وَقْتَ الْأَمْرِ بِهِ –المنسوخ– أَنَّهُ سَيَنْسَخُهُ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ»[3]. ثم قد تناول علماؤنا هذا المبحث درسا من جهات أهمها:

أولا: من حيث النصوص الشرعية، وأيها ينسخ الآخر.

ثانيا: من حيث الحكم والتلاوة للنصين المنسوخ والناسخ، بقاء وعدما.

ثالثا: من حيث حكم البدل ثقلا وخفة، مقارنة بالمنسوخ.

رابعا: من حيث البدل في النسخ، وجودا على ما هو الأكثر، وعدما على ما هو النادر.

ضمن هذه النقاط الأربعة تكلم علماؤنا في موضوع حِكَم النسخ، منهم: الفيروز آبادي في "بصائر ذوي التمييز"[4]، والزركشي في "البرهان"[5]، والسيوطي في "الإتقان"[6]، واستجمع كل ذلك الزرقاني في "مناهل العرفان"، بتفصيل وطول بيان، وباستثناء النقطة الأولى، أعرض فيما يلي ما ذكره علماؤنا من حكم النسخ، ومعالم رحمة الله بخلقه فيه، مع شيء من الاختصار، وابتداء بالأخيرة منها، لفا ونشرا معكوسا أقول:

---

(1)– الشافعي، "الرسالة"، (106)، وانظر أيضا: "قلائد المرجان" لمرعي بن يوسف الكرمي (19).

(2)– السخاوي، "جمال القراء"، (335/1).

(3)– ابن النحاس، "الناسخ والمنسوخ"، (62/1).

(4)– "بصائر ذوي التمييز"، (121/1).

(5)– "البرهان"، (37/2، 39).

(6)– "الإتقان"، (67/3، 77، 81).

أولا: إن النسخ إلى غير بدل رحمة من الله في ابتلاء خلقه، واختبار امتثالهم، زيادة في الحسنات، ورفعا للدرجات، مع ما في النسخ من تخفيف، وإنقاص للتكاليف[1]. وأما ما كان نسخا إلى بدل فذلك الذي كثرت أفراده في القرآن الكريم، وفيه من وجوه الرحمة ودلائلها، ما في النقطتين الآتيتين أكشف عنها.

ثانيا: أجاب هبة الله بن سلامة رحمه الله (ت 410هـ) عن سؤال في آية سورة البقرة ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾، وضمَّن جوابه بيان الحكمة المتعلقة بالناسخ والمنسوخ من حيث ثقل الحكم وخفته، فقال: «فَالْجَوَاب أَن معنى: ﴿بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾ أَي أَنْفَع مِنْهَا لأَن النَّاسِخ لا يَخْلُو من إحدى النعمتين: إِمَّا أَن يكون أثقل فِي الحكم فَيكون أوفر فِي الْأَجر، وَإِمَّا أَن يكون أخف فِي الحكم فَيكون أيسر فِي الْعَمَل»[2]، وفي كل منهما رحمة من الله بخلقه واضحة المعالم، وصور الزرقاني رحمه الله تلك الحكم والرحمات في أسلوب بديع، مضيفا للوجه الذي يتساوى في المنسوخ وبدلُه حكمًا، في كلام أنقله بحروفه، قال: «من هنا جاءت الشريعة إلى الناس تمشي على مهل متألِّفة لهم متلطِّفة في دعوتهم متدرِّجة بهم إلى الكمال رُويدًا رويدًا، صاعدة بهم في مدارج الرقي شيئا فشيئا، منتهزة فرصة الألف والمران والأحداث الجادة عليهم، لتسير بهم من الأسهل إلى السهل، ومن السهل إلى الصعب، ومن الصعب إلى الأصعب، حتى تم الأمر ونجح الإسلام نجاحا لم يعرف مثله، في سرعته وامتزاج النفوس به ونهضة البشرية بسببه!. تلك الحكمة على هذا الوجه تتجلى فيما إذا كان الحكم الناسخ أصعب من المنسوخ، كموقف الإسلام في سموه ونبله من مشكلة الخمر في عرب الجاهلية بالأمس.

أما الحكمة في نسخ الحكم الأصعب بما هو أسهل منه، فالتخفيف على الناس ترفيها عنهم، وإظهارا لفضل الله عليهم، ورحمته بهم، وفي ذلك إغراء لهم على المبالغة في شكره، وتمجيده، وتحبيب لهم فيه، وفي دينه.

وأما الحكمة في نسخ الحكم بمساويه في صعوبته، أو سهولته فالابتلاء، والاختبار ليظهر المؤمن فيفوز، والمنافق فيهلك، ليميز الخبيث من الطيب.»[3].

ثالثا: تلك العلاقة الرابطة بين حكم النص وتلاوته، بقاء وعدما، وهي التي جعل العلماء قسمتها على ثلاثة أضرب[4]: ما نُسِخ تلاوة وحكما، ما نُسِخ تلاوة وبقي حكمه، وعكسه ما نُسِخ حكما وبقي تلاوة.

فأما أولها: فكان بلا ريب رحمة بالناس، ورفقا بهم في إصلاح أحوالهم بالتدرج في تكليفهم، فلما انتهى أمده، وتحققت غايته، رفع الحكم والتلاوة ليحل محلهما غيره من الأحكام بعدما تهيأت النفوس، وأقبلت القلوب على شرع علام الغيوب.

---

(1)– انظر: "مناهل العرفان" للزرقاني (172/2).

(2)– هبة الله بن سلامة، "الناسخ والمنسوخ"، (28).

(3)– الزرقاني، "مناهل العرفان"، (153/2)، وانظر: "الناسخ والمنسوخ" لابن حزم (8)، و"المصفى" لابن الجوزي (12).

(4)– انظر: "البرهان" للزركشي (35/2)، و"الإتقان" للسيوطي (70/3)، وهي على هذا الترتيب التصاعدي من حيث كثرتها، فأولها فأولها أقلها، وآخرها أكثرها وهذا الضرب هو الذي في الكتب المؤلفة في هذا العلم، قال السيوطي: «وهو على الحقيقة قليل جدا وإن أكثر الناس من تعداد الآيات فيه» "الإتقان" (71/3).

وأما ثانيهما: وهو نسخ التلاوة دون الحكم، ففيه من أوجه الرحمة والحكمة ما تتضمنه سائر أفعال الله تعالى، الفتاَّح بالعلم على مَن عَلمها، وليس جَهلُها نافيا لوجودها[1]، ومما ظهر لي:

– بيان كمال قدرة الله تعالى، وتمام أمره فهو الذي يُبقى ما يشاء ويَرفع ما يريد، وفي رَفع ما رُفع تذكير للعبيد ببقاء ما بقي، فيُعتنَى به تلاوة وحفظا، قبل أن يأذن الله برفع جميعه آخر الزمان، فالقرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود، وذاك البيان تضمن تعريفا للعباد بصفات الله وأفعاله، فكفى به منة ورحمة، أن يتفضل المجيد بتعريف نفسه للعبيد.

– أن في ذلك اختبارا وابتلاء[2]، فما أعظمها من رحمة لمن نجح حين اختُبِر، وحين الابتلاء صبر، وهل في الابتلاء والاختبار إلا رفع الدرجات، ومزيد الحسنات، وتلك بعض وجوه الرحمات، وهل كان إعمال الناسخ وإهمال المنسوخ، إلا في جيل الرسوخ، جيل القرآن والتنزيل، فكان عليهم بالمنسوخ الابتلاء، وبقي لهم ولنا بالناسخ كل صفاء، رحمتان لهم واحدة لمن جاء بعدهم، ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾[البقرة].

وأما الثالث من الأقسام، وهو أكثرها فهو يكشف سياسة الإسلام الرشيدة الحكيمة «للناس حتى يشهدوا أنه هو الدين الحق، وأن نبيه نبي الصدق، وأن الله هو الحق المبين العليم، الحكيم الرحمن الرحيم، يضاف إلى ذلك ما يكتسبونه من الثواب على هذه التلاوة، ومن الاستمتاع بما حوته تلك الآيات المنسوخة من بلاغة، ومن قيام معجزات بيانية، أو علمية أو سياسية بها»[3]، يضاف إلى أوجه الرحمة والحكمة تلك «أَنَّ الْقُرْآنَ كَمَا يُتْلَى لِيُعْرَفَ الْحُكْمُ مِنْهُ، وَالْعَمَلُ بِهِ، يُتْلَى لِكَوْنِهِ كَلامَ اللَّهِ تَعَالَى فَيُثَابُ عَلَيْهِ فَتُرِكَتِ التِّلاوَةُ لِهَذِهِ الْحِكْمَةِ»[4]، زيادة إلى ذلك «أَنَّ النَّسْخَ غَالِبًا يَكُونُ لِلتَّخْفِيفِ فَأُبْقِيَتِ التِّلَاوَةُ تَذْكِيرًا بِالنِّعْمَةِ وَرَفْعِ الْمَشَقَّةِ»[5].

وإذ أكتفي –على استحياء– في هذا المبحث الطويل بما تقدم من كلمات قليلات، أتمم ذلك بتنبيهين:

أولهما: لقد جعل رب العالمين الإسلام الدين القويم، مهيمنا على الأديان جميعها، وناسخا لشرائعها، فكان التنزيل كتاب الإسلام، رحمة لجميع الأنام، منزلا على سيد المرسلين، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء]. وقد أخذ بعض المفسرين[6] هذا المعنى الحق العجاب من قوله تعالى: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد].

---

(1)–الزرقاني، "مناهل العرفان"، (2/170– 171).

(2)– الزركشي، "البرهان"، (2/37)، وهو مضمون ما نقله عن ابن عقيل صاحب "الفنون" جوابا عن حكمة هذا النوع من النسخ.

(3)–الزرقاني، "مناهل العرفان"، (2/153).

(4)– الزركشي، "البرهان"، (2/39).

(5)–الزركشي، "البرهان"، (2/39). وانظر: "الإتقان" للسيوطي (3/77– 78).

(6)– انظر: "الدر المنثور" للسيوطي (4/664)، و"مناهل العرفان" للزرقاني (2/144، 152).

ثانيهما: أن ما يُذكر من أوجه رحمة وحِكمٍ لأنواع النسخ، إنما هي على الإجمال، وتحت كل آية ناسخة ومنسوخة تنطوي حكم ورحمات خاصة بها، لا تطيق العقول إدراكها إحاطة، وتعجز الفصاحة عن تصويرها كاملة، فهي من علم الله الجليل، فأنى الإحاطة به للعقل العليل، ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ **[طه].**

المبحث السادس: معالم الرحمة في الأحرف السبعة.

وسبب إيراده ضمن مباحث هذه الورقة البحثية، ما جاء صريحا عن المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قال لقراءة كل من عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما: «هكذا أنزلت»[1] ، أو «كذلك أنزلت»[2]. فمرد التغاير فيها إلى التنزيل[3]، فليس هو على البحث بدخيل، قال ابن قتيبة رحمه الله (ت 276ه): «وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام، وذلك أنه كان يعارضه في كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن، فيحدث الله إليه من ذلك ما يشاء، وينسخ ما يشاء»[4].

ومعلوم لدى الدارسين أن مبحث الأحرف السبعة «مبحث طريف وشائق، غير أنه مخيف وشائك»[5]، ومع تواتر النصوص النبوية في معنى الأحرف السبعة، فقد اختلف في تحديد معناها اختلافا قل نظيره، ومن بين تلك الاختلافات، وددت إخراج معالم الرحمة خالصات سائغات، اعتمادا على الأحاديث النبويات الصحيحات، وما نص عليه الأئمة الهداة، فمما صح في باب الأحرف السبعة:

ما جاء في حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لهما: «إنَّ هذا القرآن أُنْزل على سبعة أحرف فاقرءُوا ما تَيَسَّر مِنه»[6]، أي من هذا القرآن المنزل على سبعة أحرف، فإنه لم يكن كذلك إلا تيسيرا.

---

(1)– أخرجه البخاري (2287، 4754، 6537)، ومسلم (818)، وغيرهما

(2)– أخرجه البخاري (4706، 7111)، وغيره.

(3)– هل هو مطرد في الاختلاف جميعه، اختلف في ذلك، وأولى الأقوال بالقبول ما ذهب إليه السمرقندي رحمه الله في "بستان العارفين" (327)، القائل بالتفريق بين القراءات التي تغايرهما له أثر في المعنى والتفسير كـــ: (ملك، ومالك، ويَطْهُرن ويطَّهَّرنّ)، وبين التي تغايرها تغاير لغات فقط كـــ: (البُيوت، البِيوت)، وانظر لهذه المسألة: "البرهان" للزركشي (326/1)، و"القراءات القرآنية" لعبد الحليم قابه (47– 48).

(4)– ابن قتيبة، "تأويل مشكل القرآن"، (32).

(5)– الزرقاني، "مناهل العرفان"، (116/1).

(6) أخرجه البخاري (2287) وفي مواضع أخرى، ومسلم (818).

يوضح ذلك ما جاء في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه لما ترافع مع من خالفاه في القراءة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ربي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي»[1]، وفي رواية: «خفف عن أمتي»[2]، ففي زيادة الأحرف مزيد تهوين وتيسير وتخفيف على الأمة المحمدية، وفي ذلك من الرحمة الإلهية بهذا التنزيل للأحرف ما هو ظاهر، ووجه هذا الطلب للتخفيف، وسببه بينته الروايات الأخرى، وجاء فيها قوله صلى الله عليه وسلم: «إن أمتي لا تطيق ذلك»[3]، وفي رواية: « لا تستطيع ذلك»[4]، إن كُلِّفت بقراءة القرآن على حرف وحرفين، ولم تطق أمته صلى الله عليه وسلم ذلك لما كان مبعوثا إلى الناس جميعا إلى: «أمة أميين منهم: العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط»[5].

إن وضوح هذه النصوص النبوية في بيان معالم الرحمة في تنزيل الأحرف السبعة[6] لن يثنينا عن استعراض كلام بعض أهل العلم توضيحا لمقصود المبحث، فمن ذلك:

قول ابن قتيبة رحمه الله (ت 276هـ): « ... وييسّر على عباده ما يشاء. فكان من تيسيره أن أَمره بأن يُقرىء كل قوم بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم فالهذليّ يقرأ ... والأسديّ يقرأ: ... والتّميميّ يهمز. والقرشيّ لا يهمز ... ولو أن كل فريق من هؤلاء، أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا– لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للّسان، وقطع للعادة. فأراد الله، برحمته ولطفه، أن يجعل لهم متّسعا في اللغات، ومتصرّفا في الحركات، كتيسيره عليهم في الدّين»[7].
الدّين»[7].

قول أبي عمرو الداني رحمه الله (ت444هـ): « وَأما وجه إِنْزَال الْقُرْآن هَذِه السَّبْعَة أحرف وَمَا الَّذِي أَرَادَ تبَارك اسْمه بذلك فَإِنَّهُ إِنَّمَا أنزل علينا توسعة من الله تَعَالَى على عباده وَرَحْمَة لَهُم وتخفيفا عَنْهُم عِنْد سُؤال النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِيَّاه لَهُم ومراجعته لَهُ فِيهِ لعلمه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بِمَا هم عَلَيْهِ من اخْتِلَاف اللُّغَات واستصعاب مُفَارقَة كل فريق مِنْهُم الطَّبْع وَالْعَادَة فِي الْكَلَام إِلَى غَيره فَخفف تَعَالَى عَنْهُم وَسَهل عَلَيْهِم بِأَن أقرهم على مألوف طبعهم وعادتهم فِي كَلَامهم »[8].

---

(1)– أخرجه مسلم (1856)، وأحمد في "المسند" (21171) وغيرهما.

(2)– أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" (37/1).

(3)–أخرجه مسلم (1856)، وأحمد في "المسند" (21172)، وأبو داود في "السنن" (1478)، وغيرهم.

(4)–أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" (38/1).

(5)– أخرجه الترمذي في "جامعه" (2944)، وأحمد في "المسند" (21204)، وغيرهم.

(6)– عبد العزيز القاري، "حديث الأحرف السبعة"، (81).

(7)– ابن قتيبة، "تأويل مشكل القرآن"، (32).

(8)– الداني، "الأحرف السبعة"، (31).

وثمة كلام كثير لغيرهما من الأئمة كالطحاوي (ت 321هـ) في "شرح مشكل الآثار"[1]، وأبي شامة (ت665 هـ) في "المرشد"[2]، والزركشي (ت794 هـ) في "البرهان"[3]، وغيرهم. خلاصتها أن مبحث الأحرف الأحرف السبعة «يرينا مظهرا من مظاهر رحمة الله، وتخفيفه على عباده، وتيسيره لكتابه على كافة القبائل العربية بل على جميع شعوب الأمة الإسلامية من كل جيل وقبيل، حتى ينطقوا به لينة ألسنتهم سهلة لهجاتهم برغم ما بينهم من اختلاف في اللغات، وتنوع في الخصائص والميزات»[4].

كانت تلك الأحرف كفيلة بتحقيق مقصودها من التيسير على الأمة يومها، ورحمة من الباري سبحانه عليها بها، مع ما حملته من فوائد وعوائد لمن بعدها، فقد كانت مع اقترانها بغيرها من ظروف الزمان والمكان، ورعاية الحال والمآل سببا في ظهور رحمات أخرى، وفوائد تترى، فامتزاج الأحرف السبعة مع العرضة الأخيرة، وسير الجميع مع عوامل الزمان والمكان، وتغير أحوال من جاء بعد زمن التنزيل، اقتضى جمع القرآن الكريم زمن عثمان رضي الله عنه مقتصرا على بعض تلك الأحرف، ومع امتداد الزمان، وميل النفوس للاقتصار، استقر الأمر على ما كان للعشرة القراء من الاختيار، وحملت تلك القراءات في طياتها عبقا من رحمات الباري المتجددة على أمة الإسلام عبر تعاقب الأيام، فهاهي القراءات القرآنية تُفجِّر للباحثين ينابيع العلم، وروافد الفقه، يهزون أصلها فكرا، فتسَّاقط عليهم أنواع العلوم لغة وفقها، ثمرا جنيا، تنوع في الألفاظ والمباني، واتساع في المدارك والمعاني، في انضمام وائتلاف، وتنوع في الاختلاف، ترينا في ملامحها معالم رحمة مترلها، مستوجبة بكل حرف منها مزيد حمد وشكر له عليها.

خاتمة: لأهم النتائج والتوصيات.

أجعلها في نقاط مختصرة كالآتي:

الكلام في موضوع تنزيل القرآن الكريم لا ينفك بحال عن مسألة كلام الله تعالى والخلاف فيها، فمن الضروري بالباحث أن يعلم هذه المسألة علما دقيقا ليحسن التفريع فيها، فربما يغفل الذهن في التفريع فيخالف التأصيل.

---

(1)- "شرح مشكل الآثار"، (124/8).

(2)- "المرشد الوجيز"، (90).

(3)- "البرهان"، (227/1).

(4)- الزرقاني، "مناهل العرفان"، (116/1).

إن الكلام في موضوعات القرآن الكريم وتنزيله كلام في أمور الغيب، فلا يقال فيها إلا ما دلت عليه نصوص الوحي، وما وراء ذلك إلا القول على الله بلا علم.

يلحظ المتأمل لأحوال نزول القرآن الكريم اختصاص جيل التنزيل بمزيد الرحمة والعناية في كل فرع من فروع البحث، ومباحثه الدالة على الرحمة في تنزيل القرآن كـــ: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والأحرف السبعة، ونحوها.

إن المتأمل والمتصفح لبعض كتب علوم القرآن يلحظ فيها جفاف العبارات، وخلوها عن ربط تلك العلوم بالجانب التربوي الروحي، الذي يرقق القلوب، ويشعرها بربانية القرآن الكريم، وأن مصدره الإله العظيم الجليل.

ومن التوصيات المقترحة أن توضع دراسة لجملة من المسائل:

كمسألة تنجيم القرآن، واستجماع الآيات الدالة إشارة عليه صراحة وإشارة، وما يتبعه من مسائل.

ومسألة تكرر نزول الآيات القرآنية.

وكذا بعض مسائل تنزيل القرآن الكريم، ومن الذي أنزل القرآن من اللوح إلى بيت العزة؟ هل هو جبريل؟، أو الملائكة المطهرون؟.

وهل ترتيب آيات الذكر متفق بين اللوح وبيت العزة والمصاحف؟.

وهل صحيح أن ما في بيت العزة يوافق رسمه ما مصاحفنا؟.

كلها مسائل تحتاج إلى بسط وبيان، ولا أدعي عدم توفر ذلك غير أني لم أقف على ما تعلق به بحثا وتمحيصا.

هذا آخر ما رأيت تسطيرا، ويعلم الله أني لم أرتضه تحبيرا وتحريرا، لاشتغال المحل والبال، بحركات العلة وعدم المناسبة والاستعجال، وعدم تيسُّر بعض الحال، والله المسؤول وهو ذو الرحمة، أن يرحم عبدا أراد إرشادا وإظهارا لبعض صنوف رحماته الكثيرات، ونعمه السابغات، وآلائه الواصلات، فاللهم صلنا بك وبالقرآن الكريم تنزيلك، وبمحمد نبيك، وارحمنا برحمتك، إنك جواد كريم، والحمد لله أولا وآخرا، مُسرًّا وجاهرا.

كشاف أهم المصادر والمراجع:

كتب التفسير وعلوم القرآن:

آدم بومبا،"أسماء القرآن الكريم"، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط1، 1430هـــ- 2009م.

الآلوسي، "روح المعاني"، ت علي عطية، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـــ .

البيضاوي، "أنوار التنزيل"، ت المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418 هـــ.

ابن جني، "المحتسب في القراءات الشواذ"، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـــ- 1999م .

ابن الجوزي، "زاد المسير"، ت عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ.
حكمت بشير، "الصحيح المسبور"، دار المآثر المدينة النبوية، ط1، 1420هـ- 1999م.
ابن أبي حاتم، "التفسير"، ت أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ.
الدهلوي، "الفوز الكبير"، عَرَّبَه سلمان النَّدوي، دار الصحوة القاهرة، ط2، 1407هـ- 1986م.
الداني، "الأحرف السبعة"، ت عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة مكة، ط1، 1408هـ.
الرازي، "مفاتيح الغيب"، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420 هـ.
الزجاج، "معاني القرآن"، ت عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1408 هـ - 1988 م.
الزرقاني، "مناهل العرفان"، ت فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، ط1، 1415هـ، 1995م.
الزركشي، "البرهان"، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، 1391م.
الزمخشري، "الكشاف"، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ.
ابن أبي زمنين، "تفسير القرآن"، ت حسين بن عكاشة ومحمد الكنز، الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ - 2002م.
السخاوي، "جمال القراء"، ت مروان العطيَّة ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، ط1، 1418هـ- 1997م.
السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ت اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000 م.
السمرقندي، "بحر العلوم"، .
السيوطي، "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، دار الفكر.
السيوطي، "الإتقان"، ت محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ -1974م.
الشنقيطي، "أضواء البيان"، دار الفكر، 1415 هـ- 1995م.
أبو شهبة، "المدخل لدراسة القرآن الكريم"، مكتبه السنة القاهرة، ط2، 1423هـ- 2003م.
الشوكاني، "فتح القدير"، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ.
أبو شامة، "المرشد الوجيز"، ت قولاج، دار صادر، 1395هـ- 1975م.
صبحي الصالح، "مباحث في علوم القرآن"، دار العلم للملايين، ط24، 2000م .
ابن ضريس، "فضائل القرآن"، ت غزوة بدير، دار الفكر، ط1، 1408 ه - 1987م.
الطبري، "جامع البيان"، ت أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ- 2000م.
الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر تونس، 1984 هـ.
عبد الحليم قابه، "القراءات القرآنية"، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م.
عبد العزيز القاري، "حديث الأحرف السبعة"، مؤسسة الرسالة، ط1، 1432هـ- 2002م.
عبد الفتاح القاضي، "القراءات الشاذة وتوجيهها"، دار السلام، ط2، 1426هـ- 2005م .
أبو عبيد، "فضائل القرآن"، ت مروان عطية وآخرون، دار ابن كثير، ط2، 1420هـ- 1999م.
ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ت عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ- 1993م.
علي العبيد، "حفظ القرآن الكريم"، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

أبو علي الفارسي "الحجة للقراء السبعة"، ت قهوجي وجويجابي، دار المأمون، ط2، 1413 هـ – 1993م.
غانم قدوري، "محاضرات في علوم القرآن"، دار عمار، ط1، 1423هـ– 2003م.
الفراء، "معاني القرآن"، ت أحمد النجاتي ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1.
الفريابي،"فضائل القرآن"، ت يوسف جبريل، مكتبة الرشد، ط1، 1409 هـ – 1989 م.
فهد الرومي، "دراسات في علوم القرآن"، ط12، 1424هـ – 2003م.
الفيروز آبادي، "بصائر ذوي التمييز"، ت محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة.
ابن قتيبة، "تأويل مشكل القرآن"، ت إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية.
القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ت البر دوني وأطفيش، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ– 1964 م.
ابن القيم، "التبيان في أقسام القرآن"، ت محمد حامد الفقي، دار المعرفة.
ابن كثير، "تفسير القرآن"، ت سامي سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ– 1999م.
محمد أبو زهرة، "المعجزة الكبرى"، دار الفكر العربي.
محمد بكر إسماعيل ، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط2، 1419هـ–1999م.
محمد بازمول، "القراءات وأثرها في التفسير والأحكام".
محمد الشايع، "نزول القرآن الكريم"، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
محمد عمر حويه، "نزول القرآن الكريم"، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
محمد الفاضل بن عاشور، "التفسير ورجاله"، مجمع البحوث الإسلامية، ط2، 1417هـ– 1997م.
محمد معبد، "نفحات في علوم القرآن"، دار السلام، ط2، 1426هـ– 2005م.
مرعي بن يوسف الكرمي، "قلائد المرجان"، ت سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم الكويت.
مساعد الطيار، "المحرر في علوم القرآن".
مكي بن أبي طالب، "الهداية في بلوغ النهاية"، جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ– 2008م.
مناع القطان، "مباحث في علوم القرآن"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط2، 1421هـ– 2000م.
ابن النحاس، "إعراب القرآن"، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ.
ابن النحاس، "الناسخ والمنسوخ"، ت محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح الكويت، ط1، 1408هـ.
نور الدين عتر، "علوم القرآن"، مطبعة الصباح، ط1، 1414هـ– 1993م.
هبة الله بن سلامة، "الناسخ والمنسوخ"، ت زهير الشاويش ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي،ط1، 1404هـ.
أبو هلال العسكري، "الوجوه والنظائر"،ت محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، ط1428،1هـ– 2007م.
الواحدي، "البسيط"، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.
يحي بن سلام، "التصاريف"، ت هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، 1979 م.

كتب السنة وعلومها، واللغة وأخرى:

أحمد بن حنبل، "المسند"،ت شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون،مؤسسة الرسالة،ط1، 1421هـ– 2001م.

البخاري، "الجامع الصحيح"، ت مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط3، 1407هـ– 1987م.
البيهقي،"شعب الإيمان"، ت عبد العلي حامد، مكتبة الرشد ، الدار السلفية ط1، 1423 هـ – 2003 م.
الترمذي، "الجامع"، ت بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
ابن تيمية، "بيان تلبيس الجهمية"، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1426هـ.
ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ت المحقق: عبد الرحمن قاسم، مجمع الملك فهد، 1416هـ– 1995م.
ابن حجر، "فتح الباري"، إ محب الدين الخطيب، دار المعرفة، 1379هـ.
ابن حجر، "نتائج الأفكار"، حمدي السلفي، دار ابن كثير، ط2، 1429هـ– 2008م.
الحميدي، "تفسير غريب ما في الصحيحين"، ت زبيدة محمد، مكتبة السنة، ط1، 1415هـ– 1995م.
الدارمي، "السنن"، ت حسين سليم أسد، دار المغني للنشر والتوزيع السعودية، ط1، 1412هـ– 2000م.
ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ت رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، 1987م.
أبو داود، "السنن"، ت شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ– 2009م.
سعيد بن منصور، "السنن"،ت سعد آل حميد، دار الصميعي، ط1، 1417هـ– 1997م.
ابن سيده، "المحكم"، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ– 2000م.
الشريف الجرجاني، "التعريفات"، إ مصطفى أبو يعقوب، مؤسسة الحسنى المغرب، ط1، 1427هـ– 2006م.
أبو شهبة، "السيرة النبوية "، دار القلم دمشق، ط8، 1427هـ.
الشافعي، "الرسالة"، ت أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، ط1، 1358هـ– 1940م.
ابن أبي شيبة، "المصنف"، ت كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط1، 1409هـ.
الطحاوي، "شرح مشكل الآثار"، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،ط1، 1415 هـ– 1494م.
عبد الكريم النملة، "المهذب في أصول الفقه المقارن"، مكتبة الرشد، ط1، 1420هـ– 1999م.
ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، ت عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ– 1979م.
الفيروز آبادي، "القاموس المحيط "، ت مركز الرسالة ...، مؤسسة الرسالة، ط3، 1433هـ– 2012م.
ابن القيم، "رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه"، ت المديفر، دار عالم الفوائد.
ابن كثير، "السيرة النبوية من البدابة والنهاية "، إ مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، 1395هـ– 1976م.
المباركفوري، "الرحيق المختوم"، دار الهلال.
مسلم، "الجامع الصحيح"، إ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.